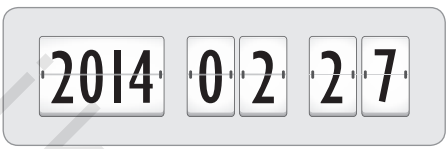

كرست معظم أيامي الأولى في وزارة الخارجية للهاتف، إذ اتصلت بالعشرات من القادة الدوليين الذين كانوا ينتظرون سياسة خارجية أمريكية جديدة بفارغ الصبر، كان علينا أن نرمم أعطالًا كثيرة، لم أقل إن الإدارة البوشية كانت هي المسؤولة، غير أن الجميع كانوا يعرفون الحقيقة، أكدت أن السياسات السابقة لم تكن جميعًا واجبة الإلغاء، ورأيت استثنائيًّا أن من الجوهري أن تبقى المفاوضات السداسية حول برنامج أسلحة كوريا الشمالية النووية مستمرة.

في خطابي الأول أمام موظفي وزارة الخارجية، أعدت تأكيد وجهات نظري حين قلت (بذكاء، أعتقد، يجب أن أقول لنفسي)، «ثمة ثلاث قوائم لكرسي السياسة الخارجية الأمريكية: الدفاع، والدبلوماسية، والتنمية، نحن مسؤولون عن اثنتين من القوائم الثلاث، وسنكون واضحين في أثناء العمل حول أن الدبلوماسية والتنمية ليستا أداتين ضروريتين لبلوغ أهداف الولايات المتحدة بعيدة المدى وحسب، بل إن الدبلوماسية القوية والتنمية الاقتصادية الفاعلة هما أفضل أداتين على المدى الطويل لضمان مكانة أمريكا في العالم».

obeikandl.com

وقريبًا من ذلك الوقت، زرت أيضًا الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، حيث قابلت الموظفين وأفدتهم بأنهم سيحصلون على قدر أكبر من التمويل والاهتمام في ظل الإدارة الجديدة، ويسرني أن أقول إن خطابي قوبل بالتصفيق.

أبقيت سقفي منخفضًا حين كانت أسباب دبلوماسية تفرض ذلك، إلا أنني حافظت منذ البداية على علاقة عمل وثيقة مع الرئيس، لاسيما في قرارات السياسة الخارجية.

أيامي المئة الأولى شهدت إتقاني لمهنتي واكتسابي لمهارات معينة بوصفي عضوًا في المجلس. لدهشة الجميع- باستثنائي- وجدت الاضطلاع بدور لاعب فريق تابع لأوباما أمرًا سهلًا، كنت قد تعلمت أداء ذلك الدور بوصفي زوج بل كلنتون، غير أني- على أي حال- كنت نجمة دولية ذات قامة أطول بكثير من قامات جل وزراء الخارجية. خلفيتي بوصفي مسؤولة منتخبة أسهمت في تمكيني من امتلاك بصيرة نافذة إلى حاجات الممثلين المنتخبين في البلدان الأخرى وهواجسهم.

مع حلول صيف عام 2009م، كان ثمة نقاش كثير في وسائل الإعلام حول النفوذ الذي كنت أتمتع به في إدارة أوباما، مع أنواع التخمينات والاختلاقات كلها القابلة للتصور، ما الذي كان أولئك يظنونه؟ هل كنت أحاول أن أكون رئيسة بالشراكة مرة أخرى؟ حتى إن أحدهم زعم أننا عاشقان! لا أعتقد أن ذلك كان من شأنه أن يناسب ميشيل، بالفعل باراك وأنا نوعان مختلفان جدًّا من البشر، رغم حقيقة أننا اتفقنا عادة حول السياسة؛ لا تهمني خطاباته العصماء، وأعتقد أن فظاظتي كانت تزعجه، لم أصبح قط جزءًا من حلقته الداخلية الموثوقة، على الرغم من أنه كان على الدوام يكن لي أعظم آيات الاحترام، ويأخذ بنصحي بوجه عام.

مع أننا تعلمنا كيف نعمل معًا، لم نصبح حميمين في أي من الأوقات، إلا أنه صار في العامين الأخيرين من وزارتي يصغي إلى ما أقوله بقدر أكبر من

الانتباه، ولدى غيابي عن مناقشة أي أمر ذي علاقة بالسياسة الخارجية، كان يعبر عن رغبته في سماع رأيي قبل اتخاذ القرار، بدوري أصبحت أكثر ثقة بمنصبي، ورحت أدلي بآرائي وأبذل نصائحي بوتائر أكثر كثافة؛ أضفت آرائي البراغماتية إلى آرائه الأكثر نظرية، وأعتقد أن صوتي كان راجح الكفة.

أعدت تقييم دوري في وزارة الخارجية في خطاب بارز ألقيته منتصف تموز/يوليو أمام مجلس العلاقات الخارجية، حيث قلت كلامًا من قبيل: «لا يسعنا أن نكون خائفين من الاشتباك أو غير مستعدين له، وتركيزنا على الدبلوماسية والتنمية ليس بديلًا من ترسانتنا الأمنية القومية، مازالت الولايات المتحدة متمتعة بالمؤسسة العسكرية الأكبر في العالم، أكبر من نظيراتها الثلاث التالية مجتمعة، إلا أن القوة العسكرية لم تعد كافية لحمايتنا، لاسيما مع تعرض الموازنات للتخفيض. يتعين على بلدنا أن يعيد ابتكار دبلوماسيته». أخشى أن يكون هذا النوع من التفكير بدأ يضفي علي ثوبًا صقريًّا، غير أن ذلك ليس هو ما عنيته. لم أرغب في ما هو أكثر من الالتزام بنصيحة تيودور روزفلت حول الكلام الناعم مع حمل العصا الغليظة.

obeikandl.com